

وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً

أخى : السلام عليكم ورحمة الله .

الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده . فإنه سبحانه على كل شيء قدير ، وبالإجابة جدير . اللهم ألهمنا رشدنا وقنا شر أنفسنا . اللهم عافنا واعف عنا . واغفر لنا أنت ولينا ومولانا : اللهم آت نفوسنا تقواها وزكها أنت خير من زكها . أنت وليها ومولاها . اللهم اشرح صدورنا للإسلام ، واجعل لنا نوراً نتهدى به إليك يا منان . اللهم أغن فقرنا ، واجبر كسرنا . وأعز ذلنا . وارفع جهلنا . واشف أمراضنا ، واهد قلوبنا ، وأصلح أحوالنا ، وأغننا بحلالك عن حرامك . واكفنا بفضلك عمن سواك والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ .

أخى :

لقد علمت أن الأمور كلها خيرها وشرها متوقف على العلم أولاً ثم على التصديق ثانياً ثم على الإحساس ثالثاً ثم على اليقين الذى هو خلاصة العلم . فالعلم يقتضى التصديق ، والتصديق يقتضى الإحساس . والإحساس يقتضى العمل ، والعمل يقتضى القرب . والقرب يقتضى اليقين الكامل . ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ .

واعلم أخى أن الذى تسميه شراً هو نتيجة الإحساس الملموس لنا ولكن متى ما علمت أن هذا الذى تشعر بشره عليك هو فى أصل تقديره عليك لم يكن شراً مراداً هان عليك احتمال ، وسهل عليك تحمله مهما كان أنين النفس وتوجعها . فالإنسان بمقتضى جبلته وبواقع طبيعته يفر من الشر ، ويهرب من الآلام ؛ ولذلك لا يحاول كسبه . وإنما يحاول رده ودفعه بقدر ما أوتى من قوة وجهد . وقد علمت أنه متى تم العلم وكمل التصديق بأن الحياة لا تخلو من الشر

والخير . حيث الخير ضد الشر . ولولا الشر ما كان الخير . فالضد يظهر حسنه الضد . نعم أقول متى ما تم العلم تمخض عن هذا العلم والتصديق الإحساس الذى لا بد منه وهو الشعور الكامل بوجود الشر فى الخير والخير فى الشر . ولما كان الإنسان بمقتضى بشريته ووقوع جبلته رقيق الإحساس بالشر قوى الدفع له بشتى الوسائل والحيل . خلق الله الخير والشر فتنه ﴿ وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ﴾ خلق الله وقدر هذا الابتلاء لا لكى يؤلّم عبده ويلحق الأذى به . كلا : إنما ليسوقه إليه ويعرفه بنفسه منّا وعطاءً . إحياء وعدماً ، لأن الإنسان يعرف الخير ويستأنس به ؛ ولذلك ينشغل به عن الذى أنعم عليه . وفى هذا بعض ما يقيه معنى الجحود والكفران ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴾ وفى هذه الحالة تكاد الصلة تنعدم بالانقطاع بين العبد والرب ، ولئلا تنعدم الصلة وينقطع الرباط يصيب الله عبده بالقليل جداً من الشر بالنسبة إلى ما هو عليه من الخير احتفاظاً بالصلة ، وتقديراً للرباط . ومتى ما عاد إلى ربه ورجع إليه صرف عنه الشر وخفف عليه ، وقدر له الأجر الذى يكافئ آلامه وأنيته : ﴿ إِنَّمَا يُؤْفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .

واعلم أخى أن الشر الذى يصيب الله به عبده هو دون الخير بحيث لا نسبة بينهما ومع هذا لا يكون الشكر على الخير مناسباً مع الضجر مع الشر ، فالقليل من الشر ينسى العبد الكثير من الخير ﴿ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا ﴾ وقد خلقه الله ضعيفاً ليكون الفصل محسوساً بين الخالق والمخلوق ، وبين الرب والمربوب . فإن العلم بالخير لا يكون إلا نتيجة الإحساس بالشر .

وعليه أقول : لابد من الشر لمن أراد الخير - ومتى ما علم الإنسان ذلك وصدقه . هان عليه الاحتمال ، وسهل عليه التحمل حيث لابد من الخير فى الشر والشر فى الخير . وفوق كل ذى علم عليم ، وقد علمت أن العلم بالله متى ما بلغ درجة التصديق انتفت رؤية الشر فى أصل التقدير مع الإحساس بنتائجه العاجلة حيث الإحساس بالشر لابد منه . فليس المراد فقدان الإحساس وإنما المراد تحمل الواقع مع الأخذ بالأسباب الواقية . فالجرح مثلاً يصيب عضواً من الأعضاء .

وهذه الإصابة تكون نتيجة تصادم مادة مع مادة أقوى من مادة العضو فهل هذه المادة التي اصطدمت مع العضو وأصابته يترتب عليها لوم وعتاب . طبعاً - لا - لأن المصاب هو الذى تعرض لها ، واصطدم بها . فإذا كان ثمة لوم فعليه لا عليها . ومن هنا نعلم معنى قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ فالعفو هنا متعلق بالسلامة التي تكون في بعض الحالات مع وجود الأسباب . فالإنسان يمرض ويشفى أو يصاب ويعفى ، ويصطدم بشيء فينجو ، يتعرض فيسلم . فالشر أيها الأخ في تقدير الله خير محض ، ومثله مثل علاج الدكتور ، فإن أعماله في ظاهرها تعذيب ، وفي باطنها رحمة فالمرضى يعرف ذلك ويعلم ، ولذلك يحتمل ويصبر حيث الإيمان بالرحمة سابق إلى قلبه ، واليقين عليها كامل ، وكذلك العبد فيما يلقي من شر القدر حسب تصوره وإدراكه . فالعبرة بالعلم أولاً وبالتصديق ثانياً . ومتى استقر هذا في نفسه هانت الأمور ، وذلت الصعاب . وإن هذا العلم لا يتحقق بسهولة ويسر كما يتبادر إلى أذهان المستمعين . إنما يكون ذلك تدريجياً وعلى قدر سلوك الطريق الموصل إليه وهو تقوى الله . وهذه التقوى هي بناء النفس على أساس الكتاب والسنة وذلك لا يتم إلا بمخالفة هواها . والمخالفة لا تكون إلا بالعلم الذى هو بمعنى الإيمان العام بالله ورسوله واليوم الآخر ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَاناً ﴾ فاعلم أخى أنه متى مارست في نفسك أن الله تبارك وتعالى لا يريد بك إلا خيراً حيث خلقك إنساناً مميزاً ومخلوقاً مكرماً يفدك هذا ويقطع عنك حديث النفس ؛ فإنه سبحانه ذكر لك في كتابه سبب خلقك . ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ فمحال أن يخلقك لعبادته ومعرفته وهو لا يريد لك الخير . فأنت لا شك مكرم ولا جدال في أنك مميز بهذه الصفة . وعليه فما يصيبك منه هو خير محض بالنسبة لتقديره وقضائه . ولما كان بعض الخير لا يكون إلا بملامسة الشر قرن الله بينهما في حدود إحساسك حيث خلق الإنسان من نقطة أمشاج ابتلاء واختباراً فالحمد لله .

واعلم أخى أن الطيبات التي تعيش بها في الدنيا بعضها خالصة وبعضها ممزوجة . فالنخيل والأعناب والفواكه والثمرات تؤكل من غير أن يصيبها شر . أما الخبز الذى هو أساس الحياة فإنه يمسّ بالنار والنار شر ، وكذلك شأن اللحم ،

وسائر الطيبات التى تطهى بالنار وتطيب بالاحتراق . والنار فى ذاتها شر ؛ لكنها
ضرورية لحياة الإنسان حيث الكثير من أسباب الحياة بها وسيلة واستخداماً .
فالنار إجمالاً أساس الخير . ومحوره . وكذلك الشر أساس الخير ومحوره حيث لا بد
منه للحصول على الخير عاجلاً أو آجلاً . ولما كانت النار تحرق المواد وتذيقها .
كذلك الشر يصيب المثل من الإنسان أعاذنا الله وإياكم من شر الفتنة . وهدانا
وإياكم سواء السبيل .

* * * *